

تفسير ابن كثير

* قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ^ط أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ^ج ثَمَرِ نَخْلٍ مَنفُورٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ^ج إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : (إنما أعظكم بواحدة)

أي : إنما أمركم بواحدة ، وهي : (أن تقوموا لله مثلي وفرادي ثم تفكروا ما بصاحبكم

من جنة) أي : تقوموا قياما خالصا لله ، من غير هوى ولا عصبية ، فيسأل بعضكم

بعضا : هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضا ، (ثم تفكروا) أي : ينظر الرجل

لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل

عليه ، ويتفكر في ذلك ؛ ولهذا قال : (أن تقوموا لله مثلي وفرادي ثم تفكروا ما بصاحبكم

من جنة) . هذا معنى ما ذكره مجاهد ، ومحمد بن كعب ، والسدي ، وقتادة ، وغيرهم

، وهذا هو المراد من الآية . فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا

هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ،

عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " أعطيت

ثلاثا لم يعطهن من قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ، ولم تحل لمن قبلي ، كانوا قبلي
يجمعون غنائمهم فيحرقونها . وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه
، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، أتيتم بالصعيد ، وأصلي حيث أدركتني الصلاة ،
قال الله : (أن تقوموا الله مثنى وفرادى) وأعنت بالربح مسيرة شهر بين يدي " - فهو
حديث ضعيف الإسناد ، وتفسيرها بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ، ولعله
مقحم في الحديث من بعض الرواة ، فإن أصله ثابت في الصحيح وغيرها والله أعلم
وقوله : (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) : قال البخاري عندها : حدثنا علي
بن عبد الله ، حدثنا محمد بن خازم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد
بن جبير ، عن ابن عباس قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم ، فقال : "
يا صباحاه " . فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : " رأيتم لو أخبرتكم أن العدو
يصبحكم أو يمسىكم ، أما كنتم تصدقوني ؟ " قالوا : بلى . قال : " فإني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد " . فقال أبو لهب : تبا لك ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : (تبت يدا أبي لهب
وتب) [المسد] . وقد تقدم عند قوله : (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء : 214]

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة ،
عن أبيه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال : "
أيها الناس ، أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " إنما مثلي
ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم ، فبعثوا رجلا يترأى لهم ، فبينما هو كذلك أبصر
العدو ، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه : أيها الناس
، أوتيتم . أيها الناس ، أوتيتم - ثلاث مرات " . وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة جميعا ، إن كادت لتسبقني " . تفرد به الإمام أحمد في
مسنده .